

لم يكن معه أحدُ الشيخ جيفري هولند من رابطة الرسل الإثني عشر

من أعلى تلة الجمجمة، تدوي حقيقة أننا لن نترك وحدنا أو من دون مساعدة، حتى لو شعرنا في بعض الأحيان أنّ هذه هي الحال.

شكراً لك يا أخت تومسن وشكراً لنساء هذه الكنيسة الرائعات . أيّها الإخوة والأخوات، إنّ رسالتي لمناسبة الفصح موجّهة اليوم إلى الجميع لكنّها تهدف بشكل خاص الأشخاص الوحيدين أو الذين يشعرون بالوحدة أو أسوأ، بأنهم متروكون . هؤلاء الأشخاص قد يكونون من الذين يتوقون إلى الزواج أو من الذين خسروا زوجاً أو طفلاً أو من الذين لم يُباركوا بأطفال . نحن نتعاطف مع المرأة التي هجرها زوجها، والزوج الذي تركته امرأته، والطفل الذي حُرّم من أمّه أو أبيه أو من الإثنيين . وتشمل هذه المجموعة بشكلها الأوسع الجنود البعيدين عن منازلهم والمبشرين الذين يحدهم الحنين إلى المنزل في أسابيعهم الأولى من الخدمة والآباء من دون عمل الذين يخشون أن ترى عائلتهم الخوف في عينيهم . وباختصار، قد تشمل أيّاً ممّا في مراحل مختلفة من حياتنا.

لكلّ الذين يمرّون بحالات مماثلة، سأحدّث عن الرحلة الأكثر وحدةً التي جلبت للبشرية جمعاء بركاتٍ لا تُحصى . أنا أتكلّم عن المهمة التي أداها المخلص وحده عندما حمل بمفرده عبء خلاصنا . وكان صائباً في قوله هذا : "قد دست المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن معي أحدٌ... فنظرتُ ولم يكن معيّنٌ وتحيّرتُ إذ لم يكن [لي] عاضدٌ"1.

كما أشار الرئيس أختدورف سابقاً بطريقة جميلة جداً، نعرف من النصوص المقدّسة أنّ وصول يسوع إلى أورشليم بصفة المسيح نهار الأحد الذي يسبق فصح اليهود ويصادف اليوم كان حدثاً جماهيرياً عظيماً . إلا أنّ التلّيف لمتابعة الطريق معه سرعان ما بدأ يزول.

فيعد فترة وجيزة، أتهم يسوع رسمياً أمام القادة الإسرائيليين في حينه، أي حنّان أولاً، الكاهن العالي السابوق، ثم قيافا، الكاهن العالي الحالي. وأصدر هذان الرجلان ومجلساهما قرارهم بتسرّع و غضب لأنّ رغبتهم في محاكمته كانت شديدة . وتساءلوا صارخين: "ما حاجتنا بعد إلى شهود؟" "إنّه مستوجب الموت"2.

وبعد ذلك، أحيل أمام القادة المحليين غير اليهود. فاستجوبه هيرودس أرتيبياس، رئيس ربح على الجليل، مرّةً واحدة وبيلاطس البنطي، الوالي الروماني على اليهودية مرتّين، وفي المرّة الثانية صرّح للجماهير : "ها أنا قد فحصت قدّامكم ولم أجد في هذا الإنسان علّة"3. ثم، ومن دون أيّ عذر أو مبرّر منطقي، "جلد [يسوع] وأسلمه ليصلب"4. وبذلك باتت يدا بيلاطس، اللتان كان قد غسلهما للتو، ملطختان تلطيخاً وفي غاية القذارة.

وأصبح هذا النبذ الآتي من أهل السياسة والدين مسألة شخصية عندما انقلب الشعب أيضاً ضدّ يسوع . ويا لسخرية القدر إذ كان في السجن مع يسوع مجدّفٌ حقيقي وقاتلٌ وثائرٌ يُدعى باراباس أي "ابن الأب"5 بالأرامية. وكان يحقّ لبيلاطس أن يحرّر سجيناً بمناسبة تقليد عيد الفصح اليهودي فسأل الشعب : "من من الاثنين تريدون أن أطلق لكم؟" "فقالوا بلواباس"6. وحرّر بالتالي أحد أبناء الأب غير البارّين في حين أنّ ابنُ إلهي حقاً لأبيه السماوي أخذ ليُصلب.

شكّلت هذه المرحلة أيضاً فترة اختبار للذين عرفوا يسوع شخصياً وكانوا مقرّبين منه . ولعلّ يهوذا الإسخريوطي هو الشخصية التي يصعب الأكثر فهمها بين المجموعة . فنحن نعلم أنّ الخطة الإلهية كانت تقضي بأن يُصلب يسوع لكنّ من الصعب جداً أن نتصوّر كيف لأحد شهوده الخاصين الذي جلس عند قدميه وسمعه يصلي وراه يشفي وشعر بلمسته أن يخونه ويخون كلّ ما كان عليه مقابل ثلاثين من الفضة . ولم يحصل يوماً في تاريخ هذا العالم أن يُشرى بمبلغ زهيد لهذه الدرجة عارٌ كبيرٌ لهذا الحدّ. لسنا مؤهلين للحكم على مصير يهوذا إلا أنّ يسوع قال عن خائن: "كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد"7.

لا شكّ في أنّ مؤمنين آخرين مرّوا هم أيضاً بأوقات عصيبة . بعد العشاء الأخير، ترك يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا ينتظرون وذهب وحيداً إلى حديقة جثسيماني . وتقول النصوص المقدّسة إنّه خرّ على وجهه وصلى بنفس "حزينة جداً حتى الموت"8. وفيما هو يطلب من الأب أن تعبر عنه هذه الكأس الساحقة والعنيفة صار عرقه كقطرات دم 9. لكن بالطبع، ما كان بالإمكان أن تعبر عنه الكأس . وعند عودته من هذه الصلاة الكئيبة، وجد تلاميذه الرئيسيين الثلاثة نائمين ما حمله إلى القول: "أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة"10. وتكرّر الأمر مرتّين وعند عودته الثالثة قال لهم بعطف : "ناموا الآن واستريحوا"11. قال لهم هذا مع أنّه هو لن يعرف الراحة.

لاحقاً، بعد توقيف يسوع ومثوله للمحاكمة، أتهم بطرس بأنه يعرفه وبأنه أحد رفاقه فنكر الاتهامات ليس مرةً واحدةً فحسب بل ثلاث مرّات. نحن لا نعرف كل تفاصيل الأحداث كما أننا لا نعلم إن كان المخلص قد أسدى نصائح لتلاميذه على انفراد بغية حمايتهم¹²، لكننا نعرف أن يسوع كان يدرك أن حتى تلاميذه الأعزّاء لن يقفوا معه حتى النهاية وقد حذر بطرس على هذا الأساس¹³. ومع صياح الديك "التفت الرب ونظر إلى بطرس . فتذكر بطرس كلام الرب ... فخرج بطرس إلى خارج وبكى بكاءً مرّاً"¹⁴.

نظراً لضرورة تحقيق أهداف الله، راحت المجموعة الداعمة ليسوع تتقلص وتصغر أكثر فأكثر، ممّا يعطي معناها لكلمات متى: "حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا" ¹⁵ إلا أن بطرس بقي قريباً بما فيه الكفاية ليتمّ التعرف إليه ومواجهته . ووقف يوحنا عند أسفل الصليب مع أم يسوع . أمّا النساء المميزات في حياة المخلص فقد بقين دائماً وبشكلٍ خاص قربه بقدر ما استطعن. لكن، بصورة أساسية، استمرت رحلة العودة إلى أبيه من دون معزٍّ أو رفيق.

والآن سأتكلم بحذر كبير ومهابة عن المرحلة التي قد تكون الأصعب في هذه الرحلة الوحيدة إلى الكفارة. أتكلّم عن اللحظات الأخيرة التي لا بدّ من أن يكون يسوع قد استعدّ لها على الصعيدين الفكري والجسدي لكن ربّما لم يتحضّر لها بالكامل على الصعيدين الروحي والعاطفي --- إذ غرق في يأس عميق لتخلي المشيئة الإلهية عنه وصرخ بوحدة قصوى: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟"¹⁶.

صحيحٌ أنّه قد توقع خسارة الدعم الفاني إلا أنّه لم يتفهم هذا الواقع. ألم يقل لتلاميذه: "هوذا تأتي ساعة وقد أنت الآن تنفرون فيها كلّ واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي: وأنا لست وحدي لأنّ الأب معي" "ولم يتركني الأب وحدي لأني في كلّ حين أفعل ما يرضيه"¹⁷؟

وأنا أشهد بكلّ قناعة روحية أنّه أرضى فعلاً أباه على أكمل وجهٍ وأنّ الأب الكامل لم يترك ابنه في تلك الساعة. فأنا شخصياً أوّمن بأنّه خلال فترة خدمة المسيح الفانية برمتها، لم يكن الأب قريباً من ابنه بقدر ما كان في خلال لحظات المعاناة والعذاب الأخيرة هذه. لكن، لكي يقوم ابنه بالتضحية الكبرى بصورة كاملة بقدر ما هي طوعية ووحيدة، أبعاد الأب لبرهنة عزاء روحه عن يسوع وغيب عنه دعم وجوده الشخصي . كان ذلك ضرورياً. وكان من الجوهرية فعلاً لمعنى الكفارة أن يعرف هذا الابن الكامل الذي لم يقل سوءاً ولم يرتكب خطأ ولم يمسّ نجساً كيف يشعر بقيّة البشر أي كيف نشعر جميعاً عندما نرتكب خطايا مماثلة. ولكي تكون كفارته أبدية لا حدّ لها، كان عليه أن يشعر ليس بالموت الجسدي فحسب بل أيضاً بالموت الروحي وأن يعرف معنى غياب الروح الإلهي، ما يترك الإنسان وحيداً تماماً وعلى نحو مُدَلٍّ ومن دون أي أمل.

لكنّ يسوع تحمّل . وصمد . وسمحت طبيئته بانتصار الإيمان حتى ولو في حالة من الكآبة التامة . وهو بفضل الإيمان الذي عاش وفقاً له وبالرغم من المشاعر التي راودته عرف أنّ الرحمة الإلهية لا تغيب عنا أبداً وأنّ الله مخلصٌ دائماً فهو لا يتهرّب ممّا كما أنّه لا يخذلنا . وأخيراً، عندما أنجزت الكفارة وعندما أثبت المسيح بالكامل عزمه الذي لا يزحزح على الإخلاص، "أسلم الروح"¹⁸. وبالرغم من كلّ الصعوبات ومن دون مساعدة أحد أو دعمه، أعاد يسوع الناصري، الابن الحيّ لله الحيّ الحياة الجسدية حيث كان الموت مسيطراً وجلب الفداء الروحي المتسم بالبهجة من الخطيئة واليأس والظلمة الجهنمية. وبفضل إيمانه بالله الذي عرف أنّه يدعمه تمكّن من القول منتصراً: "يا أبتاه، في يدك أستودع روحي"¹⁹.

أيّها الإخوة والأخوات، لعلّ أكثر ما يعزينا خلال زمن الفصح هذا هو التالي : بما أنّ يسوع عبر بمفرده تماماً درباً طويلاً ومهجوراً، ليس علينا نحن أن نقوم بذلك. وإنّ رحلته الوحيدة جلبت لنا الرفقة لرحلتنا المصعّرة، رفقة تتمثّل بالعناية الرحيمة لأبينا السماوي وبالرفقة الدائمة لابنه الحبيب وبهبة الروح القدس الكاملة وبالملائكة في السموات وبأفراد العائلة على طرفي الحاجز بالإضافة إلى الأنبياء والرسل والمعلمين والقادة والأصدقاء . فهم وغيرهم أيضاً أعطوا لنا رفاقاً في رحلتنا الفانية وذلك بفضل كفارة يسوع المسيح واستعادة إنجيله . من أعلى تلة الجمجمة، تدوّى حقيقة أنّنا لن نُترك وحدنا أو من دون مساعدة، حتى لو شعرنا في بعض الأحيان أنّ هذه هي الحال . وبالفعل قال فادينا جميعاً : "لا أترككم يتامى . [وأنا وأبي إليكم] نأتي و[عندكم] نصنع منزلاً"²⁰.

أرجو أيضاً في زمن الفصح ألا نكرّر أبداً مشاهد تضحية المسيح الوحيدة التي رافقتها أوقات من النكران والتخلي وأقله خيانة واحدة تامة. قد سار وحيداً مرةً. وأنا أطلب الآن ألا يضطر أبداً إلى مواجهة الخطيئة من دون مساعدتنا أو دعمنا وألا يرى أبداً أشخاصاً مكتوفي الأيدي عندما ينظر إليكم وإلىّ وهو على درب المعاناة اليوم . ومع اقتراب هذا الأسبوع المقدّس أي خميس فصح اليهود مع حملته وجمعة الكفارة مع صليبه وأحد القيامة مع قبره الفارغ، فلننقذ العزيمة على أن نكون تلاميذ الرب يسوع المسيح بشكل كامل ليس قولا فحسب وخلال الأوقات اليسيرة بل فعلاً وبشجاعة وإيمان لاسيّما عندما يكون الدرب مهجوراً ويصعب علينا حمل صليبنا. ودعونا في أسبوع الفصح هذا ودوماً، نقف إلى جانب يسوع المسيح "في

كلّ الأوقات وفي كلّ الأشياء وفي كلّ الأمكنة التي [نوجد] فيها حتّى الموت "21 إذ لاشكّ في أنّه بهذه الطريقة وقف إلى جانبنا عندما مات حقاً من أجلنا وعندما قاسى وحيداً وحيداً. باسم يسوع المسيح، آمين.

ملاحظات

1. إشعياء 63: 3، 5؛ راجع أيضاً المبادئ والعهود 76: 107؛ 88: 106؛ 133: 50
2. متّى 26: 65--66
3. لوقا 23: 14
4. متّى 27: 26
5. Bible Dictionary, "Barabbas," 619 راجع
6. متّى 27: 21
7. متّى 26: 24
8. متّى 26: 38
9. راجع لوقا 22: 44؛ موصايا 3: 7؛ المبادئ والعهود 19: 18
10. متّى 26: 40
11. متّى 26: 45
12. Spencer W. Kimball, *Peter, My Brother*, Brigham Young University Speeches of the Year (July 13, 1971), 5 راجع
13. راجع مرقس 14: 27--31
14. لوقا 22: 61--62
15. متّى 26: 56
16. متّى 27: 46
17. يوحنا 16: 32؛ 8: 29
18. راجع يوحنا 19: 30
19. لوقا 23: 46
20. يوحنا 14: 18، 23
21. موصايا 18: 9

